إلى شباب القصصيين

كيف احترفت القصة

قصة الآنسة (ريمولفيلد)

للأستاذ أحمد فتحي

لقد ظلت أول قصة كتبتها حتى اليوم بغير أن تنشر ، ومن ودي أن تبقى كذلك أبد الدهر دون أن تخرج للناس

ولقد كتبتها أيام كانت أحلام مثيلاتي من الطالبات منحصرة في أن يتم للواحدة مرح الشابة « الأيرلندية » العابثة !. ومن المحقق أنني كنت متأثرة في قصتي الأولى بهذه الروح . وإني لأذكر عنها القليل جدا ، ومن ذلك القليل أن البطلة كانت تسمى « بليس » وأنني جعلتها تموت وهي غضة السن : أعني لم تعدُ السبعين ! بينما كنت أنا بين الثانية عشرة والرابعة عشرة. ولم يكن الحب — في تلك الأيام — ليخطر على بال إنسان لم يودع عشرين ربيعاً من عمره

على أن كثيراً من المشاهد التي كنت قد بنيت عليها هيكل تلك القصة ظل عالقاً بذهني مدي عشر سنوات كاملة ، تقمص بعدها إهاب قصتي الأولى الجدّية « زيللا »

* * *

وربما كان من الخير أن أشير هنا إلى أن قصتي الأولى « زيللا » لم تكن أكثر من دراسة « سيكلوجية » لفتاة بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، كان عليها أن تعاني اضطراب ورائة مختلطة تضطرب بين انجليزية وفرنسية

وحينما فكرت في أمرها أول الأمر وأنا في غرفة دراستي ، كنت أوثر أن تكون لها نفس صافية ، بينما تنتثر إلى الخلق الشخصي القويم ، حتى أنها تخدع نفسها بنفسها ، وينتهي بها الحال إلى أن تعود غير خليقة أن تؤتمن على أية حقيقة على وجه الإطلاق

ولم تكن القصة التحليلية — حينذاك — قد عرفت سبيلها إلى الذيوع ؛ ولاسيما في الأوساط المدرسية ؛ وبذلك كان اختياري الطبيعي لهذا الطراز محددا للمنهاج الذي التزمته ودرجت عليه في مستقبل أيامي

ولقد علمت ، عامدة أو غير عامدة ، أن البطلة الأنموذج فيما كان تتاح لي قراءته من القصص ، لم تكن تعنى كثيراً بمطابقة الحقيقة ومحاكاتها . حتى أن تلك القصة العظيمة التي كتبتها « ماري كورلنديلي » باسم « الطعام الأحمر » والتي ضمنتها كثيراً من أروع الشخصيات ، لم تخل من هفوة أوشبه هفوة ، في تصوير بطلتها « راشيل » فتاة خيرة راجحة العقل . فان المؤلفة لم تشأ أن تبرز بطلة قصتها في الصورة السمجة التي لا بد أن تكون عليها في الحياة الواقعة ؛ وهذا سر ضعفها . بل لقد بلغ إبرازها بهذا الوصف الخير من الثقل حد الطغيان على باقي شخصيات هذه القصة التي اختلط فيها الخير والشر مثل اختلاطهما في أفراد الجنس البشري بغير استثناء !

ولقد أوليتُ هذه القصة « الطعام الأحمر » عناية فائقة ، لأنها كانت أول قصة عصرية حيوية أذكر أنني قرأتها بعين الناقد وأعدت قراءتها مرات ومرات ، كما أصنع دائماً بالكتب التي أفضلها ، وبذلك استطعت أن أحللها بكل دقة ، في حدود طاقة طفلة في مثل سني حينذاك

ولقد وضح لي عند ذلك الحين أن رغبات الناس وتأثراتهم حيال الظروف المختلفة أمر ليس من السهل أن يُقرأ ، أو يُكتبَ عنه ، وأن تنزيه المؤلف لبطل قصته عن الأخطاء ، من أشنع الأخطاء ! وكذلك أنجيت بطلة قصتي « زيللا » من التعرض لمثل هذه المؤاخذة . والحقيقة أنه كان يروق لي أن أبرز نقائصها أكثر مما كان يروقني إبراز ما فيها من فضائل ، فلم أكن أرغب مطلقاً أن أسمو بها عن المزالق الطبيعية التي يتورط فيها نظائرها من الشباب !

وبعد بضع سنين ، حين كانت القصة بين يدي الناشر ، كاشفته برغبتي في تغيير اسمها باسم آخر رمزي هو « الحرباء » ولكنه ردّني عن هذه الرغبة في رفق ، زاعماً أن من القسوة على

البطلة أن أشبهها بهذا الحيوان البارد المتلوّن !

على أنه قد يوجعنى أن أضيف إلى ما تقدم أننى حين كتبت « زيللا » لأول مرة ؛ وقبل أن أبدل فيها كثيراً أو قليلا ؛ كنت قد ختمت فصولها بمأساة فاجعة . وكذلك كانت تُختَتَمُ غالبية القصص التى قدر لى أن أقرأها إلى ذلك العهد . وعلى أى حال فقد كنت فى سنّ لا يتورع فيها الانسان من أن يبتسم للفواجع ! وإنما كنتُ فى الواقع أفوق من عاصرونى بجعل الفكرة فى قصة « زيللا » تمهّد لتصوير البطلة فى موقف مفاجأة عنيفة يتلخص فى اقتحامها بيتاً وهو يحترق ، كى تنقذ طفلا ؛ فاذا بها تجد نفسها طعمة للنيران فتحترق وتموت !

وأظن أنى شعرت فى غموض بأن وجود هـذا الطفل فى ذلك البيت المحترق ، بمثل اقتحام الفتاة النيران بدافع غير سىّء ! حتى ولو لم يكن الدافع لهـا على ذلك هو روح بطولة ، وأؤكد أننى لم أتصرف تصرفاً كهذا فى حياتى ، مهما كان الدافع إليه مما يجعله — فى نظرى — على درجة عظمى من البطولة الحق ! !

على أننى قرأت بعد ذلك بأمد ، كتاباً للسير « روبرت هيوبانس » اسمه « الجبان » انتهى أمر بطله إلى نفس تلك النهاية ذاتها ، غير أن الصورة النفسية فيه كانت أقلّ رداءة ! كما أنى قبل أن أضع لختام قصتى فكرة احتراق البيت ، كنت أنوى أن أختتمها بانتحار البطلة ! وكانت خاتمة كهذه خليقة بإنجاح القصة فى نظرى !

* * *

وبعد أن لبثت هذه الخواطر الفجّة التداعية متأرجحة فى ذهنى ست سنين أو سبعاً ؛ نتج منها آخر الأمر شىء له هيكل « القصة » ... على أن عملى لم يكن ليتجاوز تصوير بعض الشخصيات التى خالطتها وخبرتها من كثب وتأثرت بها فى مدارس الرهبنة

وإنى لأذكر جيداً أننى لم أنفق أكثر من ستة شهور أو سبعة فى تسجيل فصول هذه القصة تسجيلا نهائياً . على أنى لم أكن أكتب إلا فى أوقات فراغى ؛ وقد أخذت أوقات الفراغ هذه فى التضاؤل بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، واستؤنفت الأعمال بهمة ونشاط

على أن فصول القصة لم تُكتَب تباعاً ، وإنما كنت أشرع فى الكتابة حالما أحس الرغبة فى ذلك ، فأثبت الحلقات الضرورية ، بحيث أصل بين الصفحات كما بدا لى أنها قد انفصل بعضها عن بعض . وهذه الطريقة — إذا جازت تسميتها كذلك — كانت كل ما فى وسعى ، لأنه لم تكن لدى أية فكرة إنشائية عن فن القصة ، بل لم يكن وجود مثل هذه الفكرة ليخطر ببالى . وإنى لأتصور أن قليلا من قصص الناشئة قد كتب بمثل ما كتبت به حرارة العاطفة . ولقد استمرأت الكتابة بسرعة وبقلة اكتراث ؛ وكان مضحكا أن أقرأ للفصول الطوال على أصدقائى فى صوت مرتفع ؛ وكان من هؤلاء الأصدقاء واحدة فقط تتنبأ لقصتى بصلاحيتها للنشر ، وربما لم يكن بين الباقين من آمن بصحة نبوءتها !

وفرغت من الكتابة فى « إيستر » عام ١٩١٦ حين كنت معتزمة الرحيل ، وقد كنت أؤمل أن أنتهى من أمرها قبل رحيلى ، وإنى لأذكر جيداً كيف كتبت بعض الصفحات الأخيرة وأنا جاثية إلى منضدة ، بسبب عـدم وجود مقاعد ساعتذاك فى بيت الغرباء الذى كنت فيه ، وما كدت أنتهى من الكتابة على هذا النحو حتى هرعت فلحقت القطار

* * *

وإنى الآن لأستدعى ذكريات صفحات هذه القصة بعد فراغى من كتابتها بقليل ، وكيف كنت لا أظن كلمة واحدة منها تحتمل الحذف ، فضلاً عن جريان القلم الأحمر على نصف صفحة كاملة مثلاً . وكذلك كنت شديدة الاعتداد بهذا العمل الأدبى الذى كتبته بأقصى سرعة تسمح بها حركة القلم على الورق ، حتى أننى كنت شديدة الاعتقاد بأن قصتى فوق التنقيح وفوق التصحيح

على أنى لا أزال حتى اليوم ، وبعد احتراف الكتابة عشرين عاماً ونيفاً ، كما كنت وثيقة الايمان بأن إعداد الفصول للنشر إعداداً نهائياً هو أصعب مراحل الانتاج الأدبى على وجه الاطلاق

ومن الخير أن اسمي المستعار الذي ظهرت به أعمالي الأولى كان من اقتراح شقيقتي ولكنه لم يكن من ابتداعها ، إذ كان اختراع قصصي معاصر شهير ، ولكنني وفقت إلى توقيع حرفي حسن هو « ا . م » ولم أكن أقصد به أن يخطىء الناس فيظنوني رجلا ولكنني استعملته متابعة لكاتب معاصر كنت ولا أزال أقدمه على سواه .

ونصحت لي إحدى الصديقات بالبحث عن ناشر ؛ ولم تلبث هي أن قدمت قصتي إلى « ويليام هاينمان » فوافق على نشرها على الفور . ولا أزال أحتفظ بذلك الخطاب الرقيق الذي بعث به إلي حينذاك .

ولم يكن لأمي علم بأنني وضعت كتاباً . ولقد كان عندها واحد من الأقرباء لا يفقه الأدب حين يلقيها برقية مني بأن كتابي قد وافق عليه الناشر ! وبعد ساعة واحدة ، وصلتها برقية أخرى علق عليها ذلك القريب الجاهل بقوله لأمي « لعلها تخبرك أن الأكاديمية الملوكية قد قبلت إحدى لوحاتها الزيتية » ؟ !

وعلى أي حال، فقد كان اسم «زيللا» من وضع مكتب الناشر « هاينمان » وربما كان على التحقيق من وضع المستر «ف. تومسون» الذي كان يقرأ له كل ما يراد نشره !

وظهر الكتاب في مارس ١٩١٧ . وصادف ظهوره نجاحاً فائقاً كما كورة أعمالي القصصية . وقد ظل الناشر نفسه يجهل اسمي الحقيق حيناً طويلا بعد ذلك

ومما هو جدير بالاشارة أن المستر « هاينمان » قد تفضل — بعد ظهور الكتاب — فدعاني إلى الغداء ، حيث قدمني إلى ثلاثة من مشاهير الأدباء المعاصرين ، وهذا ما لم يكن يطمع في مثله ولا بعضه أي قصاص مبتدئ ! ولكنني كنت صغيرة السن جداً كما كنت قليلة الخبرة بأمور الحياة الأدبية ، فلم أومن بهذا الفضل ! بل إن غداء المستر « هاينمان » قد ظل أول وآخر عهدي بالمجتمعات الأدبية إلى الآن !

* * *

وكلما أعدت قراءة قصتي الأولى « زيللا » بعد الطبع ، استرعت نظري فيها جدة خاصة ، أظنها الطابع المميز لمعظم الأعمال القصصية الأولى ، كما تسترعي انتباهي أيضاً طريقة كتابتها التي أصبحت بها بعيدة العهد . والواقع أنها لم تكن قصة بالمعنى الصحيح بقدر ما كانت تسجيلاً تعقيبياً لما تميزت به البطلة من ضعف طبيعي جر على حياتها أسوأ العواقب . على أني أعتقد بأن استعراض شخصياتها لم يكن رديئاً . وكما أسلفت ، أرى أن ضعف هذه القصة ينحصر في طريقة بنائها ، وفي انعدام العقدة الفنية فيها ، بحيث أنها كان من الجائز أن تختتم في منتصف فصولها ، دون الاستطراد إلى مئات من الصفحات الأخرى .

ولكن . . . بعد أن تم كل شيء أحسست بشعور دافق من الارتياح يغمرني . ولست أنسى أبداً تلك اللحظة السعيدة التي تسلمت فيها النسخ الخمس الأولى من قصتي هدية من الناشر ... ! !

المترجم
احمد فتحي

عبد المعطي المسيري

يقدم كتابه الجديد :

الظامئـــون

الظامئون إلى الحب ، الظامئون إلى الجمال ، الظامئون إلى الفن ، الظامئون إلى الحق ، الظامئون إلى المعرفة ، الظامئون إلى اللقمة ؟ .

علاج لمشاكل هؤلاء . وصور من حياتهم

مقدمة رائعة للقصص العظيم

للأستاذ محمود تيمور بك

رسوم رمزية للأستاذين بدر أمين ، وشفيق رزق الله

الثمن ٥ قروش صاغ : يطلب الكتاب من مؤلفه :

عبد المعطي المسيري قهوة رمسيس بدمنهور ومن مكتبتي :

النهضة المصرية بمصر وفكتوريا بالاسكندرية